

تماماً .

ففي تطور الذوق والحكم النقدي في الأدب — وهو جزء أو جانب من العملية الشاملة الخاصة بالنضج — هناك ، بحسب خبرتي ، ثلاث مراحل هامة . ففي المراهقة كانت الحماسة تجرني الى كاتب في إثر آخر ، الى أي كاتب يتجاوب مع الحاجات الغريزية في مرحلة تطوري . وفي تلك المرحلة الحماسية قلماً تكون الملكة النقدية متيقظة ، اذ ليس هناك مقارنة بين كاتب وآخر ، ولاوعي كامل حول أساس العلاقة بين نفس المرء والكاتب الذي تستحوذ آثاره عليه . وليست المسألة أنه ليس هناك إلا وعي ضعيل تجاه المنزلة ، فليس هناك فهم صحيح للعظمة ، اذ ان هذا مستوى لاسبيل إلى بلوغه عند العقل غير الناضج . ففي تلك المرحلة ليس هناك إلا الكتاب الذين يجرفون المرء جرفاً ، وأولئك الذين يتلقاهم المرء بالبرود . وحين تتسع مطالعة المرء ، ويتعرف على أنواع شتى ، آخذة في الازدياد ، من أفضل الكتاب في الشعر والنثر ، مكتسباً في الوقت ذاته خبرة أعظم بالعالم وطاقت التفكير الأقوى ، يغدو ذوقه أكثر شمولاً ، وتغدو عواطفه أكثر رزانة ، ويغدو فهمه أكثر عمقاً . وفي هذه المرحلة نبدأ بتطوير المقدرة النقدية ، وهي تلك الملكة الخاصة بالنقد الذاتي التي لن يزيد الشاعر من بدونها على أن يكرر نفسه الى آخر حياته . ومع ذلك فعلى الرغم من أنه من الممكن في هذه المرحلة أن نستمتع بأنواع لأحد لها من العبقرية الفنية والفلسفية ، وأن نفهمها ونقدرها ، فسيظل هناك حالات شائكة ، لكتاب أولي منزلة عالية نستمر في رؤيتهم منفردين . وهكذا فالمرحلة الثالثة من تطورنا — أي نضجنا بمقدار ما يمكن أن تتمثل تلك العملية بتاريخ مطالعتنا ودراستنا — هي تلك التي نبدأ عندها بالبحث عن أسباب إخفاقنا في الاستمتاع بما وجدته ممتعاً رجالاً ، بل ربما أجيال كثيرة من البشر ، الذين هم مؤهلون للتقدير مثلنا أو أفضل منا . وحين يحاول المرء أن يفهم لماذا أخفق في تقدير كاتب معين تقديراً صحيحاً ، فإنما يكون باحثاً عن الضوء ، لايصدد ذلك الكاتب فحسب ، بل يصدد نفسه . وعلى هذا فمن الممكن أن تكون دراسة الكتاب الذين يقصّر المرء من الاستمتاع